الاسئلة المتعلقة بهذه العوامل الثلاثة . الا تقدم العلاقات الطبيعية (ومن ضمنها العلاقات الاقتصادية) حلا للمشكلة الاولى ، بما تعنيه من استمرار لتدفق اليد العاملة من الضفة والقطاع ؟ بل ، وهو الاهم ، الا تعني تلك العلاقات توفير شروط افضل بكثير لحل المشكلة مما هي عليه الان حيث تضمن سوق عمل أوسع وايد عاملة ارخص ، واضعين في الذهن هنا سوق العمل والايدي العاملة الحصرية بخاصة ؟

وبالمثل ، الا تعني العلاقات الطبيعية حلا للمشكلة الثانية : مشكلة القوة الشرائية الضرورية لامتصاص المنتجات الصناعية الاسرائيلية ؟ ويا لها من سوق عربية واسعة تحلم بها اسرائيل خاصة اسواق الدول النفطية حيث انماط الاستهلاك الباذخة !

وهل يبقى بعد ذلك سوى مشكلة الهجرة والايديولوجيا ، وهي بحق اكثر المشاكل حساسية وتعقيدا ؟ ولكن ، الا يمكن « تقنين » هذه المسألة في ظرف هو اكثر الظروف ملاءمة للصهيونية ، ومعها طبعا الامبريالية العالمية ، حتى لو أدى مثل هذا التقنين الى ازعاج مؤسسي الصهيونية الاوائل في قبورهم او اثارة استنكار غلاة الصهاينة الاحياء ؟ أم هل ان مثل هذا « التقنين » يعني التخلي بالفعل عن جوهر الصهيونية ؟ والاجابة على هذا السؤال تقتضي الاجابة على سؤال آخر : هل الصهيونية حركة يهودية تستهدف اساسا جمع شتات يهود العالم في « ارض الميعاد » ، ام هي بالاساس حركة البرجوازية اليهودية في عصر الامبريالية مستندة الى « المسألة اليهودية » التي عرفتها اوروبا منذ قرون والتي اتخذت شكلا مأساويا في ظل الاضطهاد النازي ؟ ثم أليس الاحرى باسرائيل انتي قد تعمد الى « توطين نصف مليون عربي ، مؤقتا ، في صحراء النقب » (كما يقول الكاتب في صفحة ١٨٤) ان تتعامل مع توطين مهاجريها هي ؟ وهل تنفي العلاقات الطبيعية مع « الجيران » العرب امكانية بروز استيطان صهيوني من نوع جديد : جاليات من التجار واصحاب المصارف والمستشارين والعمال الفنيين وغيرهم مع عائلاتهم على امتداد المنطقة العربية ، جاليات قد تأتي عبر اسرائيل او مباشرة من الولايات المتحدة او اوروبا او غيرها . ويكون لها حقوق اين منها الحقوق التي اعطاها نظام الامتيازات العثماني للجاليات الاوروبية منذ قرون ؟!

وحتى لو جاء الجواب على كل هذه الاسئلة وغيرها على نحو يؤكد المشكلة بدل ان يحلها ، فانه ثمة بعد اخر للمسألة : الا يمكن ان تتجرع اسرائيل المشكلة في الوقت الذي تجني فيه مع الامبريالية مكاسب طائلة لم تكن تحلم بها من قبل ؟ كيف نفهم في هذا السياق « زعل » امريكا على اسرائيل ، وكيف نفهم حركة السلام الان ، وتصاعد شعبية فايتسمان على حساب بيجن ، والخلافات ضمن الحكومة الاسرائيلية : هل هي مجرد حركات في مسرحية محكمة الاخراج ، ام انها تعبير عن خلافات فعلية ضمن صفوف الصهيونية والحلف الامبريالي الصهيوني ، في اطار المصلحة الواحدة قطعا ؟ ... الخ .

ان هذه الاسئلة ، رغم الشكل الذي اتخذته صياغتها ، تبقى اسئلة لا اكثر ، ولكنها على كل حال اسئلة ينبغي اثارتها تمهيدا للبحث فيها والاجابة عليها ، بطريقة المنهج العلمي الذي يتبناه الكاتب . وهي بمجموعها يمكن ان يشتملها سؤال كبير : أليس من الممكن